بلاغة العدول الصرفي في القـرآن الكريم
من خلال تفسير التحرير والتنوير

طاهر براهيمي: أستاذ محاضر أ
كلية الآداب واللغات - جامعة غرداية

ملخص

إذا كان علم الأسلوب هو البحث عما يتميّز به الكلام الفنيّ عن بقيّة مستويات الخطاب، فإنّ العدول هو علم الأسلوب. وعلم الأسلوب هو علم الانزياحات؛ لأنّنا بالعدول نتلمّس مستوى فنيّة الخطاب، وبه نستدلّ على النظام بعد خرقه، وبه نسير مع الخطاب اتساعا وضيقا صعودا ونزولا، وبه يتفاعل المتلقي مع رسالة المرسل.

ولأهمية العدول في تحديد السمات الأسلوبية للنصوص جاء هذا البحث ليجليّ نوعا من العدول وهو العدول الصرفي في نصّ ذي كثافة دلالية وصبغة إعجازية هو القرآن الكريم من خلال تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر ابن عاشور ، فجاء البحث في شقّين أساسين : شقّ نظريّ عرضت فيه لمفهوم العدول لغة واصطلاحا وعلاقته بمصطلح الانزياح معرّجا على تعريف العدول الصرفي . وشقّ تطبيقي خُصّ لاستقراء عناية صاحب التحرير والتنوير بالعدول الصرفي وبلاغته معتمدا على التقسيم الثنائي : (العدول في الأسماء + العدول في الأفعال).

الكلمات المفتاحية : العدول، الصرف، القرآن، التفسير، ابن عاشور.

Abstract

If stylistics is the investigation of what distinguishes artistic speech from other levels of discourse, then *deviation* [*`Udool*] is stylistics and stylistics is the science of deviations; as by deviation, we look for the artistry of discourse, and through it, we infer to the norm after departing from it, and through it, we go along with discourse whether in terms of broadness or narrowness, in ascending or descending orders. Also, it is through *deviation* that the receiver interacts with the message of the sender. As *deviation* is important in determining the stylistic features of texts, this research is intended to bring to light a category of deviation which is the morphological

deviation, in a text characterized by semantic density and by its inimitable nature: it is the Holy Quran. This is achieved through Muhammad At-TaharIbn `Ashoor's exegesis called At-TahreerWat-Tanweer. This research is twofold: one theoretical in which I exposed the meaning of *deviation* linguistically and conventionally and its relation to the term *diversion [Inziyâh]* with a definition of morphological deviation. The practical part is about probing the care given by At-TahreerWat-Tanweer's author to morphological deviation and its rhetoric taking as a means the dual distinction (deviation in nouns + deviation in verbs).
Key words: deviation, morphology, The Quran, Exegesis, Ibn `Ashoor.

المقدمة

اختَارَ اللَّهُ تَعَالَى اللغة العربية وعاءً لِوَحيِهِ، وَمُستَودَعًا لِمُرَادِهِ؛ لأنَّ اللسان العربي أَفصَحُ الْأَلسُنِ، وَأَكثَرُهَا تَحَمُّلًا لِلْمَعَانِي مَعَ إِيجَازِ لَفظِهِ.[1] بل جعلت كثرة المعاني مع إيجاز اللفظ دليلا على إعجازه؛ قال ابن عاشور ": مِنْ تَمَامِ إِعْجَازِ القرآن أَنْ يَتَضَمَّنَ مِنَ الْمَعَانِي مَعَ إِيجَازِ لَفظِهِ مَا لَمْ تَفِ بِهِ الْأَسْفَارُ الْمُتَكَاثِرَةُ"[2].

ومن أبرز عوامل تعدد المعاني اتساع أبنية اللفظ باتخاذه قوالب صرفية شتّى مستقلة في معناها ووظيفتها عن غيرها التي اشتقت من نفس المادة، وميزة العربية عن اللغات الأخرى التي تفاخر بها كما قال تمام حسان هي أنّ هذه القوالب الصرفية هي أداة من أدوات خلق الحدود بين الكلمات في السياق[3]، قال السيوطي عن علم التصريف : "فإن مَنْ فاته عِلْمُه فاتَه المعظم؛ لأنا نقول: وَجَد وهي كلمة مُبْهمة **فإذا صرفت أفصحت** فقلت في المال: وجدا في الضالة: ووجدانا في الغضب: مَوْجِدَةً وفي الحُزْن: وَجْداً. ويقال: القاسِط للجائر والمقسط للعادل، **فتحول المعنى بالتصريف من الجَوْر إلى العَدْل**"[4].

وفضلا عن خلق الحدود بين الكلمات فإنّ العدول من صيغة إلى أخرى يخلق المعاني الجديدة والنكت اللطيفة، ويجلّي الأغراض المقصودة، ثم إن النظم الثاوي للعدول فيه من ثراء المعنى ما ليس في غيره. والقرآن الكريم أجود النصوص سبكا وأعلاها بلاغة وأكثرها معنى، فحقيق بنا أن نمحّص ظاهرة العدول الصرفي فيه ونحللها ونؤصّلها ونعلل أسبابها ونستشفّ ما خفي منها ونبعث ما دفن من معانيها؛ مستعينين بتفسير التحرير والتنوير للعالم محمد الطاهر ابن عاشور مستفتحين دراستنا بمفهوم العدول والعدول الصرفي على النحو الآتي:

مفهوم العدول

- **العدول لغة**: تحوم ماد (ع د ل) حول معنيين متضادّين: أحدُهما يدلُّ على **استواء**، والآخر يدلُّ على **اعوجاج** قال ابن فارس: "فالأول العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة. يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ. قال زهير: متى يَشْتجر قومٌ يَقُلْ سَرَوَاتُهُمْ... هُم بيننا فهمْ رِضاً وهُمُ عدلُ
وتقول: هما عَدْلانِ أيضاً، وهم عُدولٌ، وإن فلاناً لعَدْلٌ بيِّن العَدْل والعَدْل: الحكم بالاستواء. ويقال للشّيء يساوي الشيء: هو عِدْلُه. وعَدلْتُ بفلانٍ فلاناً، وهو يُعادِله. وأما الثاني: فيقال في الاعوجاج: عَدَل. وانعدَلَ، أي انعَرَج. وقال ذو الرُّمّة:
وإنّي لأُنْحِي الطّرفَ من نحوِ غيرها ... حياءً ولو طاوعتُه لم يُعادِل "[5]
ونقل معنى الاعوجاج ابن منظور بقوله : "والعَدْل أن تَعْدِل الشيءَ عن وجهه تقول عَدَلْت فلاناً عن طريقه وعَدَلْتُ الدابّةَ إلى موضع كذا فإذا أراد الاعْوِجاجَ نفسَه قيل هو يَنْعَدِل أي يَعْوَجُّ وانْعَدَل عنه وعادَلَ اعْوَجّ"[6] .

- **العدول اصطلاحا:** باستحضار معنى الاعوجاج والميل عن الاستقامة نحاول تحسّس مصطلحات عائلة العدول في تراثنا كما يلي:

- **العدل:** وهو من استعمال النحاة خـاصة، قال ابن جني: " معنى العدل أن تلفظ ببناء وأنت تريد بناء آخر نحو عمر وأنت تريد عامرا، وزفر وأنت تريد زافرا "[7].
- **شجاعة العربية والتحريف**: قال ابن جني تحت باب **في شجاعة العربية**: "اعلم أن معظم ذلك إنما هو الحذف والزيادة والتقديم والتأخير والحمل على المعنى **والتحريف**"[8].
- **الصرف:** نحو قول المبرّد عن قوله تعالى: (حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ) **يونس : 22** . " كانت المخاطبة للأمة ثم **صُرِفَت** إلى النبي صلى الله عليه وسلم إخبارا عنهم "[9].
- **الاتساع والعدول** : ويكثر استعمالهما عند البلاغيين ،قال عبد القاهر الجرجاني : " اعلمْ أنَّ الكلامَ الفصيحَ ينقسم قسمين : قسمٍ تُعْزى المزيةُ والحسنُ فيه إلى اللفظِ، وقسمٍ يُعزى ذلك فيه إلى النَّظم . فالقسمُ الأولُ: الكنايةُ والاستعارةُ والتمثيل الكائن على حدِّ الاستعارة وكل ما كان فيه على الجُملة مجازٌ **واتساعٌ وعدولٌ** باللفظ عن الظاهر. فما من ضربٍ من هذه الضروب إلا وهو إذا وقعَ على الصواب وعلى ما ينبغي أوجبَ الفضلَ والمزيةَ "[10].

- **العدول :** قال ابن الأثير : " واعلم أيها الموشّح لمعرفة علم البيان أنّ **العدول** عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصيّة اقتضت ذلك، وهو لا يتوخاه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة الذي اطّلع على أسرارها وفتش عن دفائنها "[11].
- **الالتفات:** هذا المصطلح وإن استقر معناه على ظواهر مخصوصة كالضمائر، إلا أنّ بعض المحققين جعلوه عاما بمعنى العدول نحو قول العلوي عن الالتفات : " معناه في مصطلح علماء البلاغة هو **العدول من أسلوب إلى أسلوب** آخر مخالف له، وهذا أحسن من قولنا : هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة ؛ لأن الأول يعمّ "[12]. والعدول أعم من الالتفات البلاغي كما استقر معناه عند المتأخرين عموما مطلقا، لأن كل التفات عدول وليس كل عدول التفاتا[13].

والجامع بين تلك المعاني هو ترك أسلوب وتعويضه بأسلوب آخر لمزيّة في الثاني منعدمة في الأوّل، وهذا المعنى عرف عند المتأخرين بمصطلح الانزياح .

العدول والانزياح : يكاد يتفق المصطلحان في المعنى عند المتأخرين والفرق بينهما كما قال المسدّي: " **الانزياح** ترجمة حرفيّة للفظة (**L'écart**) على أنّ المفهوم ذاته يمكن أن نصطلح عليه بعبارة التجاوز، أو نحيي له لفظة عربية استعملها البلاغيون في سياق محدّد وهي عبارة **العدول**، وعن طريق التوليد المعنوي قد نصطلح بها على مفهوم العبارة الأجنبية "[14].

ويجدر التنبيه في هذا المقام أن مفهوم الانزياح في الدراسات الأسلوبية الحديثة عبّر عنه بمصطلحات كثيرة، وجمع صلاح فضل هذه الإطلاقات التي تشترك في معنى الخروج عن المألوف والانتقال من أسلوب إلى آخر كما يلي[15] :

المصطلح	القائل به
التجاوز	فاليري (**Valery**)
الفضيحة	رولان بارت (**Roland Barthes**)
الشذوذ	تودوروف (**Todorov**)
الانتهاك	جان كوهن (**Cohen**)
الكسر	ثيري (**Thiry**)
الانحراف	سبيتزر (**Spiyzer**)
الجنون	أراجون (**Aragon**)
الخطأ	بالي (**Bally**)

وأشهر تلك المصطلحات مصطلح الانزياح والذي عُـرّف بعدة تعريفات أشهرها :

- **الانزياح هو الخروج عن المألوف** : قال أحمد محمد ويس : "الانزياح استعمال المبدع للغة مفرداتٍ وتراكيبَ وصورا واستعمالا يخرج به عمّا هو معتاد ومألوف بحيث يؤدي ما ينبغي له أن يتّصف به من تفرّد وإبداع وقوّة جذب وأسر "[16].

- **الانزياح هو اللحن المبرّر** : قال تودوروف : " لحن مبرّر ما كان يوجد لو أنّ اللغة الأدبية كانت تطبيقا للأشكال النحوية "[17].

- **الانزياح هو الخروج عن المعيـار** : قال جـون مونان : " الانزيـاح هو الخـروج عن المعيار[18] ".

فالانزياح هو كسر شبكة العلاقات التي يقيمها الاستعمال المنطقي أو القاعدي أو المعتاد بين الكلمات والانحراف بها عن المتوقّع من المتلقّي، أو هو كسر نظام العلاقات المنطقية في نظام لغويّ معيّن وتأسيس نظام آخر يتّسم بالمفاجأة الأسلوبية[19]، وعن هذا قال تمام حسان : " الأسلوب العدولي هو خروج عن أصل أو مخالفة لقاعدة ولكن هذا الخروج وتلك المخالفة اكتسبا في الاستعمال الأسلوبي قدرا من الاطّراد رقى بهما إلى مرتبة الأصول التي يقاس عليها "[20].

ويرى الباحث أن العدول يتعدى الخروج عن الأصل ومخالفة القاعدة إلى مخالفة توقّع المتلقي، لأن مخالفة التوقّع مضمنّة لمخالفة القاعدة من جهة، وتزيد عنها بإمكانية حدوث هزّة أسلوبية مفاجئة للمتلقي وحاوية لمعنى جديد وإن كانت منسجمة مع القاعدة، **والسياق هو الأداة الفعالة الدالة على الانحراف بالمعنى**، وهذا القيد ألصق بالنص القرآني لتنوع أساليبه كما سيظهر لاحقا.

وتوظيف السياق هو نفسه محور قياس الإجراءات الأسلوبية في نظرية ريفاتير؛ لأن السياق " هو الذي يمثل خلفية محددة دائمة، **وهو الذي يقوم بدور القاعدة وافتراض أن الأسلوب يتخلّق بالانحراف الداخلي عن هذا السياق** ... إذ أننا لو اعتبرنا الطرف الآخر في نظام العلاقة بين الأسلوب والقاعدة إنما هو قاعدة عامة مثل القواعد اللغوية لم نستطع أن ندرك الطريقة التي يصبح بها الخروج عن هذه القاعدة إجراءً أسلوبيا في حالة وغير أسلوبيّ في حالة أخرى، كما لا نستطيع أن ندرك حينئذٍ السبب في أنّ بعض الوحدات اللغوية تقوم بدور وظيفيّ بحت في نظام علاقة معيّنة وبدور إجراءٍ أسلوبيّ في نظامٍ آخر "[21].

معنى العدول الصرفي

الصرف هو:" أنْ تُصرِّفَ الكلمةَ المُفْرَدَةَ، فَتَتَوَلَّد منها ألْفَاظ مُخْتَلِفَةٌ، ومعانٍ مُتَفَاوِتَة"[22]. فهو مختص بالألفاظ من حيث الصحة والإعلال والأصالة والزيادة والتذكير والتأنيث والمشتقات ....

وعلى هذا المعنى للصرف فإن العدول الصرفي هو:" ترك الوزن القياسي لوزن آخر لدلالة معنوية لا يحتويها الوزن الأول"[23]، أو هو ترك الصيغة المتوقعة إلى صيغة أخرى غير متوقعة فتحدث مفاجأة أسلوبية ينجرّ عنها زيادة معنى لم يكن في الصيغة الأولى .

وعند تصفح مقولات القدامى نجدهم تنبهوا لهذه الظاهرة وبهذا الاسم أي العدول، من ذلك:

-ما قاله أبو هلال العسكري في الفروق: " فإنّ الرحيم مبالغة **لعدوله** (أي لعدوله عن راحم)، وإنّ الرحمن أشد مبالغة لأنّه أشدّ **عدولا** " [24].

- وقال الباقلاني في إعجاز القرآن : " ورحمن **عدل** عن راحم للمبالغة "[25].

- وقال الرماني: "ومن ذلك فعّال كقوله عزّ وجلّ: (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ) **طه : 72**، **ومعدول** عن غافر للمبالغة "[26].

-وقال ابن الأثير عن قوله تعالى :(قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (29)) **الأعراف** : "وكان تقدير الكلام أمر ربي بالقسط وبإقامة وجوهكم عند كل مسجدٍ، **فعدل** عن ذلك إلى فعل الأمر للعناية بتوكيده في نفوسهم، فإن الصلاة من أوكد فرائض الله على عبادهِ ثم أتبعها بالإخلاص الذي هو عمل القلبِ إذ عمل الجوارح لا يصح إلا بإخلاص النيةِ ولهذا قال النبي (الأعمال بالنيات) "[27].

دلالة الصيغ في التحرير والتنوير

إن اختيار تفسير التحرير والتنوير مدونةً لدراسة بلاغة العدول الصرفي في القرآن كان بسبب عناية ابن عاشور بالصيغ الصرفية ودلالتها، فالشيخ " يتوقف عند كثير من الصيغ في القرآن الكريم ليخلص إلى دلالتها في السياق مستفيدا من التراث الصرفي والبلاغي، ومضيفا إليه خبرته العلمية وذوقه الدلالي في بعض المواضع التي يشعر مطالعها بحاجته إلى هذه الخبرة "[28].

كما أنّه أولى ظاهرة العدول عناية خاصة انجرّت من اهتمامه ببلاغة النظم القرآني وبنظرية النظم وقضاياها، فكان تفسيره مجالا خصبا لتوجيه معاني الانزياحات الصرفية.

العدول الصرفي في تفسير التحرير والتنوير

سنحاول إبراز بلاغة العدول الصرفي في تفسير التحرير والتنوير من خلال التقسيم الثنائي وهو: العدول في صيغ الأسماء والعدول في صيغ الأفعال على النحو الآتي:

أولا : العدول في الأسماء

- **العدول في المصادر**

•**الكذاب والتكذيب**: في قوله تعالى:(وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (28)) **النساء**، وجه ابن عاشور إيثار مصدر الكذّاب والعدول عن مصدر التكذيب بمراعاة الفواصل فقال: "كِذَّاب: بكسر الكاف وتشديد الذال مصدر كذَّب. والفِعَّال بكسر أوله وتشديد عينه مصدر فعَّل مثل التفعيل، ونظائره: القِصَّار مصدر قَصَّر، والقِضَّاء مصدر قَضَّى، والخِرَّاق مصدر خَرَّق المضاعف، والفِسَّار مصدر فَسَّر. وعن الفراء أن أصل هذا المصدر من اللغة اليمنية، يريد : وتكلم به العرب، فقد أنشدوا لبعض بني كلاب :

لقد طال ما ثَبَّطْتني عن صحابتي ... وعن حِوَجٍ قِضَّاؤُها مِن شفائيا[29]

وأُوثر هذا المصدر هنا دون تكذيب لمراعاة التماثل في فواصل هذه السورة، فإنها على نحو ألف التأسيس في القوافي ، والفواصل كالأسجاع ويحسن في الأسجاع ما يحسن في القوافي"[30].

•**التبتل والتبتيل**: في قوله تعالى : (وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (8)) **المزمل**، عدل فيه عن مصدر تبتّلْ وهو التبتُّل إلى مصدر آخر وهو التبتبل ووجّهه ابن عاشور بقوله: " وَجِيءَ بِهَذَا الْمَصْدَرِ عِوَضًا عَنِ التَّبَتُّلِ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ حُصُولَ التَّبَتُّلِ، أَيِ الِانْقِطَاعِ يَقْتَضِي التَّبْتِيلَ أَيِ الْقَطْعَ. وَلَمَّا كَانَ التَّبْتِيلُ قَائِمًا بِالْمُتَبَتِّلِ تَعَيَّنَ أَنَّ تَبْتِيلَهُ قَطْعُهُ نَفْسَهُ عَنْ غَيْرِ مَنْ تَبَتَّلَ هُوَ إِلَيْهِ فَالْمَقْطُوعُ عَنْهُ هُنَا هُوَ مَنْ عَدَا اللَّهِ تَعَالَى فَالْجَمْعُ بَيْنَ تَبَتَّلْ وَتَبْتِيلًا مُشِيرٌ إِلَى إِرَاضَةِ النَّفْسِ عَلَى ذَلِكَ التَّبَتُّلِ. وَفِيهِ مَعَ ذَلِكَ وَفَاءٌ بِرَعْيِ الْفَوَاصِلِ الَّتِي قَبْلَهُ"[31].

ثم بيّن معنى الانقطاع "وَالْمُرَادُ بِالِانْقِطَاعِ الْمَأْمُورِ بِهِ انْقِطَاعٌ خَاصٌّ وَهُوَ الِانْقِطَاعُ عَنِ الْأَعْمَالِ الَّتِي تَمْنَعُهُ مِنْ قِيَامِ اللَّيْلِ وَمُهِمِّ النَّهَارِ فِي نَشْرِ الدَّعْوَةِ وَمُحَاجَّةِ الْمُشْرِكِينَ وَلِذَلِكَ قِيلَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ أَيْ إِلَى اللَّهِ فَكُلُّ عَمَلٍ يَقُومُ بِهِ النَّبِيءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فَهُوَ لِدِينِ اللَّهِ فَإِنَّ طَعَامَهُ وَشَرَابَه ونومه وشؤونه لِلِاسْتِعَانَةِ عَلَى نَشْرِ دِينِ اللَّهِ. وَكَذَلِكَ

مُنعِشَاتُ الرُّوحِ البَرِيئَةِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلَ الطِّيبِ، وَتَزَوُّجِ النِّسَاءِ، وَالأُنْسِ إِلَى أَهْلِهِ وَأَبْنَائِهِ وَذَوِيهِ، وَقَدْ قَالَ: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ». وَلَيْسَ هُوَ التَّبَتُّلَ الْمُفْضِيَ إِلَى الرَّهْبَانِيَّةِ وَهُوَ الإِعْرَاضُ عَنِ النِّسَاءِ وَعَنْ تَدْبِيرِ أُمُورِ الْحَيَاةِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُلَاقِي صِفَةَ الرِّسَالَةِ. وَفِي حَدِيثِ سَعْدٍ فِي «الصَّحِيحِ» «رَدَّ رَسُولُ اللَّهِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ التَّبَتُّلَ وَلَوْ أَذِنَ لَهُ لَاخْتَصَيْنَا» يَعْنِي رَدَّ عَلَيْهِ اسْتِشَارَتَهُ فِي الإِعْرَاضِ عَنِ النِّسَاءِ. وَمِنْ أَكْبَرِ التَّبَتُّلِ إِلَى اللَّهِ الِانْقِطَاعُ عَنِ الإِشْرَاكِ، وَهُوَ مَعْنَى الْحَنِيفِيَّةِ، وَلِذَلِكَ عَقَّبَ قَوْلَهُ: وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا بِقَوْلِهِ: رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ"[32].

- **النبات والإنبات** : في قوله تعالى : (وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً (17)) **نوح**، عُدل عن مصدر الفعل (أنبت) وهو الإنبات إلى مصدر الفعل (نبت) وهو النبات لخفّة اللفظ وفصاحته، قال ابن عاشور : "وَنَباتاً : اسْمٌ مِنْ أَنْبَتَ، عُومِلَ مُعَامَلَةَ الْمَصْدَرِ فَوَقَعَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا لِ أَنْبَتَكُمْ لِلتَّوْكِيدِ، وَلَمْ يَجْرِ عَلَى قِيَاسِ فِعْلِهِ فَيُقَالُ: إِنْبَاتًا، لِأَنَّ نَبَاتًا أَخَفُّ فَلَمَّا تَسَنَّى الْإِتْيَانُ بِهِ لِأَنَّهُ مُسْتَعْمَلٌ فَصِيحٌ لَمْ يُعْدَلْ عَنْهُ إِلَى التَّقِيلِ كَمَالًا فِي الْفَصَاحَةِ، بِخِلَافِ قَوْلِهِ بَعْدَهُ إِخْرَاجاً فَإِنَّهُ لَمْ يُعْدَلْ عَنْهُ إِلَى: خُرُوجًا، لِعَدَمِ مُلَاءَمَتِهِ لِأَلْفَاظٍ"[33].
وقال عن موضع آل عمران من قوله تعالى:(فَتَقَبَّلَها رَبُّها بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً) **آل عمران 37** : " وَمَعْنَى: وَأَنْبَتَها نَباتاً حَسَناً: أَنْشَأَهَا إِنْشَاءً صَالِحًا، وَذَلِكَ فِي الْخُلُقِ وَنَزَاهَةِ الْبَاطِنِ، فَشَبَّهَ إِنْشَاؤُهَا وَشَبَابُهَا بِإِنْبَاتِ النَّبَاتِ الْغَضِّ عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِعَارَةِ، (وَنَبَاتُ) مفعول مُطلق لأنبت؛ وَهُوَ مَصْدَرُ نَبَتَ وَإِنَّمَا أُجْرِيَ عَلَى أَنْبَتَ لِلتَّخْفِيفِ"[34].

- **العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول** : من بلاغة العدول في القرآن الكريم العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول لأنّ المصدر المؤول أعرف من المصدر الصريح نحو قوله تعالى : (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ(51)) **النور**، قال ابن عاشور : " وقَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ خَبَرُ كَانَ وَأَنْ يَقُولُوا هُوَ اسْمُ كَانَ وَقُدِّمَ خَبَرُ كَانَ عَلَى اسْمِهَا مُتَابَعَةً لِلِاسْتِعْمَالِ الْعَرَبِيِّ لِأَنهم إذا جاؤوا بَعْدَ كَانَ بِأَنْ وَالْفِعْلِ لَمْ يَجِيئُوا بِالْخَبَرِ إِلَّا مُقَدَّمًا عَلَى الِاسْمِ **نَظَرًا إِلَى كَوْنِ الْمَصْدَرِ الْمُنْسَبِكِ مِنْ أَنْ وَالْفِعْلِ أَعْرَفُ مِنَ الْمَصْدَرِ الصَّرِيحِ**، وَلَمْ يَجِيئُوا بِالْخَبَرِ إِلَّا مُقَدَّمًا

كَرَاهِيَةَ تَوَالِيَ أَدَاتَيْنِ وَهُمَا: كَانَ وَأَنْ. وَنَظَائِرُ هَذَا الِاسْتِعْمَالِ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ. وَتَقَدَّمَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا) فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ "[35].

وفي حال العدول مع صيغ القصر يوجه ابن عاشور العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول في قوله تعالى : (وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(147)) **آل عمران**؛ بقوله : " وَقُدِّمَ خَبَرُ (كَانَ) عَلَى اسْمِهَا فِي قَوْلِهِ: وَما كانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قالُوا؛ لِأَنَّهُ خَبَرٌ عَنْ مُبْتَدَأٍ مَحْصُورٍ، لِأَنَّ الْمَقْصُودَ حَصْرُ أَقْوَالِهِمْ حِينَئِذٍ فِي مَقَالَةِ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا فَالْقَصْرُ حَقِيقِيٌّ لِأَنَّه قصر لِقَوْلِهِمُ الصَّادِرِ مِنْهُمْ، حِينَ حُصُولِ مَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْقَيْدُ مُلَاحَظٌ مِنَ الْمَقَامِ، نَظِيرَ الْقَصْرِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّما كانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنا وَأَطَعْنا) [**النُّور: 51**] فَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ مُقَيَّدٌ بِزَمَانٍ خَاصٍّ، تَقْيِيدًا مَنْطُوقًا بِهِ، وَهَذَا أَحْسَنُ مِنْ تَوْجِيهِ تَقْدِيمِ الْخَبَرِ فِي الْآيَةِ بِأَنَّ الْمصدر المنسبك المؤوّل أَعْرَفُ مِنَ الْمَصْدَرِ الصَّرِيح لدلَالَة المؤوّل عَلَى النِّسْبَةِ وَزَمَانِ الْحَدَثِ، بِخِلَافِ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ الصَّرِيحِ، وَذَلِكَ جَائِزٌ فِي بَابِ (كَانَ) فِي غَيْرِ صِيَغِ الْقَصْرِ، وَأَمَّا فِي الْحَصْرِ فَمُتَعَيِّنٌ تَقْدِيمُ الْمَحْصُورِ "[36].

• **العدول عن المصدر إلى الاسم** : في قوله تعالى : (يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45)بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46)) **الصافات**، يرى ابن عاشور أن العدول من اللذّ إلى اللذة هو عدول عن المصدر إلى الاسم لقصد المبالغة، لأنّ المصدر فيه معنى الاشتقاق؛ وترجيح الاسمية في اللذة على المصدرية عائد إلى الوصف بها، قال ابن عاشور: " وَاللَّذَّةُ: اسْمُ مَعْنَاهُ إِدْرَاكُ مُلَائِمٍ نَفْسَ الْمُدْرِكِ، يُقَالُ: لَذَّهُ وَلَذَّ بِهِ، وَالْمَصْدَرُ: اللَّذَّةُ وَاللَّذَاذَةُ. وَفِعْلُهُ مِنْ بَابِ فَرِحَ، تَقُولُ: لَذَّذْتُ بِالشَّيْءِ وَيُقَالُ: شَيْءٌ لَذٌّ، أَيْ لَذِيذٌ فَهُوَ وَصْفٌ بِالْمَصْدَرِ **فَإِذَا جَاءَ بِهَاءِ التَّأْنِيثِ كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَهُوَ الِاسْمُ لَا مَحَالَةَ** لِأَنَّ الْمَصْدَرَ الْوَصْفَ لَا يُؤَنَّثُ بِتَأْنِيثِ مَوْصُوفِهِ، يُقَالُ: امْرَأَةٌ عَدْلٌ وَلَا يُقَالُ: امْرَأَةٌ عَدْلَةٌ. وَوَصْفُ الْكَأْسِ بِهَا كَالْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ يُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ فِي تَمَكُّنِ الْوَصْفِ، **فَقَوْلُهُ تَعَالَى: لَذَّةٍ هُوَ أَقْصَى مِمَّا يُؤَدِّي شِدَّةَ**

بالانتذاذ بكلمة واحدة، لأنّه عدل به عن الوصف الأصليّ لقصد المبالغة، وعدل عن المصدر إلى الاسم لما في المصدر من معنى الاشتقاق"[37].

- **العدول بين المصادر للتفنن :** في قوله تعالى : (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ **(61)) الأعراف**، لا يرى ابن عاشور فرقا بين الضلال والضلالة فكلاهما مصدر، ويوجه العدول عن الأول للآخر بالتفنن أي كراهية تكرار اللفظ الواحد في سياق واحد فقال : " وَالضَّلَالَةُ مَصْدَرٌ مِثْلُ الضَّلَالِ، فَتَأْنِيثُهُ لَفْظِيٌّ مَحْضٌ، وَالْعَرَبُ يَسْتَشْعِرُونَ التَّأْنِيثَ غَالِبًا فِي أَسْمَاءِ أَجْنَاسِ الْمَعَانِي، مِثْلِ الْغَوَايَةِ وَالسَّفَاهَةِ، فَالتَّاءُ لِمُجَرَّدِ تَأْنِيثِ اللَّفْظِ وَلَيْسَ فِي هَذِهِ التَّاءِ مَعْنَى الْوَحْدَةِ لِأَنَّ أَسْمَاءَ أَجْنَاسِ الْمَعَانِي لَا تُرَاعَى فِيهَا الْمُشَخِّصَاتُ، فَلَيْسَ الضَّلَالُ بِمَنْزِلَةِ اسْمِ الْجَمْعِ لِلضَّلَالَةِ، خِلَافًا لِمَا فِي «الْكَشَّافِ» ، وَكَأَنَّهُ حَاوَلَ إِثْبَاتَ الْفَرْقِ بَيْنَ قَوْلِ قَوْمِهِ لَهُ : (إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ) **الْأَعْرَاف: 60**، وَقَوْلِهِ هُوَ: لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَتَبِعَهُ فِيهِ الْفَخْرُ، وَابْنُ الْأَثِيرِ فِي «الْمَثَلِ السَّائِرِ» ، وَقَدْ تكلّف لتصحيحه التفتازانيّ، وَلَا حَاجَةَ إِلَى ذَلِكَ ؛ **لِأَنَّ التَّخَالُفَ بَيْنَ كَلِمَتَيِ ضَلَالٍ وَضَلَالَةٍ اقْتَضَاهُ التَّفَنُّنُ حَيْثُ سَبَقَ لَفْظُ ضَلَالٍ، وَمُوجِبُ سَبْقِهِ إِرَادَةُ وَصْفِهِ بِـ**(مُبِينٍ) **[الْأَعْرَاف: 60]**، فَلَوْ عَبَّرَ هُنَالِكَ بِلَفْظِ ضَلَالَةٍ لَكَانَ وَصْفُهَا بِمُبِينَةٍ غَيْرَ مَأْلُوفِ الِاسْتِعْمَالِ، وَلَمَّا تَقَدَّمَ لفظ ضَلَالٍ **[الْأَعْرَاف: 60]** اسْتُحْسِنَ أَنْ يُعَادَ بِلَفْظٍ يُغَايِرُهُ فِي السُّورَةِ دَفْعًا لِثِقَلِ الْإِعَادَةِ فَقَوْلُهُ: لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ:(إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) **[الْأَعْرَاف: 60]** بِمُسَاوِيهِ لَا بِأَبْلَغَ مِنْهُ"[38].

- **العدول في اسم الفاعل**

- **بين اسم الفاعل وصيغة المبالغة :** في قوله تعالى :(يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ **(112)) الأعراف** قال ابن عاشور : " وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: بِكُلِّ سَاحِرٍ وَقَرَأَ حمزة، وَالْكِسَائِيُّ، وَخَلَفٌ: بِكُلِّ سَحَّارٍ، عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي مَعْرِفَةِ السِّحْرِ، فَيَكُونُ وَصْفُ عَلِيمٍ تَأْكِيدًا لِمَعْنَى الْمُبَالَغَةِ لِأَنَّ وَصْفَ عَلِيمٍ الَّذِي هُوَ مِنْ أَمْثِلَةِ الْمُبَالَغَةِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى قُوَّةِ الْمَعْرِفَةِ بِالسِّحْرِ، وَحُذِفَ مُتَعَلَّقِ عَلِيمٍ لِأَنَّهُ صَارَ بِمَنْزِلَةِ أَفْعَالِ السَّجَايَا. وَالْمَقَامُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ قُوَّةُ عِلْمِ السحر لَهُ"[39].

فما فائدة العدول إلى صيغة المبالغة سحّار في قوله تعالى : (قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (34) يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (35) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (36) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ (37)) **الشعراء** ؟ قال ابن عاشور : " تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى نَظِيرِهَا فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ سِوَى أَنَّ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَابْعَثْ بدل وَأَرْسِلْ [**الْأَعْرَاف: 111**] وَهُمَا مُتَرَادِفَانِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ سَحَّارٍ وهنالك ساحِرٍ وَالسَّحَّارُ مُرَادِفٌ لِلسَّاحِرِ فِي الِاسْتِعْمَالِ لِأَنَّ صِيغَةَ فَعَّالٍ هُنَا لِلنَّسَبِ دَلَالَةً عَلَى الصِّنَاعَةِ مثل النجّار والقصّار وَلِذَلِكَ أُتْبِعَ هُنَا وَهُنَاكَ بِوَصْفِ عَلِيمٍ، أَيْ قَوِيِّ الْعِلْمِ بِالسِّحْرِ"[40].

- **العدول عن الفعل إلى اسم الفاعل** : قال تعالى : (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (4))**الأنعام**، ففي قوله تعالى : (مُعْرِضِينَ) جاء بصيغة اسم الفاعل بدل الفعل يعرضون لدلالة التحقق والتجدد معا، قال ابن عاشور : " وَجُمْلَةُ: كانُوا عَنْها مُعْرِضِينَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ. **وَاخْتِيرَ الْإِتْيَانُ فِي خَبَرِ كَانَ بِصِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْإِعْرَاضَ مُتَحَقِّقٌ مِنْ دَلَالَةِ فِعْلِ الْكَوْنِ، وَمُتَجَدِّدٌ مِنْ دَلَالَةِ صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ** لِأَنَّ الْمُشْتَقَّاتِ فِي قُوَّةِ الْفِعْلِ الْمُضَارِعِ. وَالِاسْتِثْنَاءُ دَلَّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَالٌ إِلَّا الْإِعْرَاضُ."[41] .

ومنه قوله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (1) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (2) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (3) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (4) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (5) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (6)) **الكافرون**، قال ابن عاشور : "وَنَفْيُ عِبَادَتِهِ آلِهَتَهُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ يُفِيدُ نَفْيَ أَنْ يَعْبُدَهَا فِي الْحَالِ بِدَلَالَةِ فَحْوَى الْخِطَابِ، وَلِأَنَّهُمْ مَا عَرَضُوا عَلَيْهِ إِلَّا أَنْ يَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ بَعْدَ سَنَةٍ مُسْتَقْبَلَةٍ. **وَلِذَلِكَ جَاءَ فِي جَانِبِ نَفْيِ عِبَادَتِهِمْ لِلَّهِ بِنَفْيِ اسْمِ الْفَاعِلِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ فِي الْحَالِ** بِقَوْلِهِ: وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ، أَيْ مَا أَنْتُمْ بِمُغَيِّرِينَ إِشْرَاكَكُمُ الْآنَ لِأَنَّهُمْ عَرَضُوا عَلَيْهِ أَنْ يَبْتَدِئُوا هُمْ فَيَعْبُدُوا الرَّبَّ الَّذِي يَعْبُدُهُ النَّبِيءُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَنَةً. وَبِهَذَا تَعْلَمُ وَجْهَ الْمُخَالَفَةِ بَيْنَ نَظْمِ الْجُمْلَتَيْنِ فِي أُسْلُوبِ الِاسْتِعْمَالِ الْبَلِيغِ"[42].

- **إضافة فعل الكون لاسم الفاعل** : في قوله تعالى : (لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ) **إبراهيم : 39** ، العدول

عن الفعل إلى اسم الفاعل كاذبين فيه معنى الاتصاف اللصيق بالكذب، وزاد هذا المعنى اقتران اسم الفاعل بفعل الكون، قال ابن عاشور: "كانُوا كاذِبِينَ أَقْوَى فِي الْوَصْفِ بِالْكَذِبِ مِنْ (كَذَّبُوا أَوْ كَاذِبُونَ)، لِمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ (كَانَ) مِنَ الْوُجُودِ زِيَادَةً عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ اسْمُ الْفَاعِلِ مِنَ الِاتِّصَافِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وُجِدَ كَذِبُهُمْ وَوُصِفُوا بِهِ. وَكَذِبُهُمْ يَسْتَلْزِمُ أَنَّهُمْ مُعَذَّبُونَ عُقُوبَةً عَلَى كَذِبِهِمْ. فَفِيهِ شَتْمٌ صَرِيحٌ تَعْرِيض بالعقاب."[43].

- **العدول عن اسم الفاعل إلى الفعل المضارع :** إذا كان العدول من الفعل لاسم الفاعل يفيد معنى الاتصاف الثابت فإن العدول من اسم الفاعل للفعل له أغراضه أيضا نحو قوله تعالى : (وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ **(39)) مريم**، فعدل عن اسم الفاعل مؤمنين إلى الفعل المضارع يؤمنون لإفادة معنى الاستمرار، قال ابن عاشور : " وَمَعْنَى وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ اسْتِمْرَارُ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ إِلَى حُلُولِ قَضَاءِ الْأَمْرِ يَوْمَ الْحَسْرَةِ. **فَاخْتِيَارُ صِيغَةِ الْمُضَارِعِ فِيهِ دُونَ صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمُضَارِعُ مِنِ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ وَقْتًا فَوَقْتًا اسْتِحْضَارًا لِذَلِكَ الِاسْتِمْرَارِ الْعَجِيبِ فِي طوله وتمكنه**"[44].

ومنه قوله تعالى : (إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا **(53)) الأحزاب**، فعدل عن اسم الفاعل (مؤذي) إلى الفعل المضارع (يؤذي) لزيادة معنى التكرار، قال ابن عاشور : " وَصِيغَ يُؤْذِي **بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ دُونَ اسْمِ الْفَاعِلِ لِقَصْدِ إِفَادَةِ أَذًى مُتَكَرِّرٍ**، وَالتَّكْرِيرُ كِنَايَةٌ عَنِ الشِّدَّةِ"[45].

ومنه أيضا قوله تعالى:(أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ **(19)) الملك**، حيث عدل عن الاسمية في (وَيَقْبِضْنَ) على نحو معطوفه (صَافَّاتٍ) لزيادة في المعنى لا تؤديها صيغة (قابضات)، قال ابن عاشور: " وَأُوثِرَ الْفِعْلُ الْمُضَارِعُ فِي يَقْبِضْنَ لِاسْتِحْضَارِ تِلْكَ الْحَالَةِ الْعَجِيبَةِ وَهِيَ حَالَةُ عَكْسِ بَسْطِ الْجَنَاحَيْنِ إِذْ بِذَلِكَ الْعَكْسِ يَزْدَادُ الطَّيَرَانُ قُوَّةَ امْتِدَادِ زَمَانٍ. **وَجِيءَ فِي وَصْفِ الطَّيْرِ بِـ(صافَّاتٍ) بِصِيغَةِ الِاسْمِ لِأَنَّ الصَّفَّ هُوَ أَكْثَرُ أَحْوَالِهَا**

عِنْدَ الطَّيَرَانِ فَنَاسَبَهُ الِاسْمُ الدَّالُّ عَلَى الثَّبَاتِ، وَجِيءَ فِي وَصْفِهِنَّ بِالْقَبْضِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ لِدَلَالَةِ الْفِعْلِ عَلَى التَّجَدُّدِ، أَيْ وَيُجَدِّدْنَ قَبْضَ أَجْنِحَتِهِنَّ فِي خِلَالِ الطَّيَرَانِ لِلِاسْتِعَانَةِ بِقَبْضِ الْأَجْنِحَةِ عَلَى زِيَادَةِ التحرك عِنْدَ مَا يَحْسُسْنَ بِتَغَلُّبِ جَاذِبِيَّةِ الْأَرْضِ عَلَى حَرَكَاتِ الطَّيَرَانِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : (فِي الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً) **ص: 18 – 19**]؛ لِأَنَّ التَّسْبِيحَ فِي وَقْتَيْنِ وَالطَّيْرُ مَحْشُورَةٌ دَوْمًا"[46].

- **العدول في اسم المفعول**

- **العدول عن المضارع لاسم المفعول** : قال تعالى: (إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ (18) وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ (19)) **ص**، فعدل عن الفعل المضارع مثل (يُسَبِّحْنَ) إلى اسم المفعول (مَحْشُورَةً) لإفادة معنى المرة في الحشر والتجدد في التسبيح ؛ قال ابن عاشور : " وَالْمَحْشُورَةُ: الْمُجْتَمِعَةُ حَوْلَهُ عِنْدَ قِرَاءَتِهِ الزَّبُورَ. وَانْتَصَبَ مَحْشُورَةً عَلَى الْحَالِ مِنَ الطَّيْرِ. وَلَمْ يُؤْتَ فِي صِفَةِ الطَّيْرِ بِالْحَشْرِ بِالْمُضَارِعِ كَمَا جِيءَ بِهِ فِي يُسَبِّحْنَ إِذِ الْحَشْرُ يَكُونُ دُفْعَةً فَلَا يَقْتَضِي الْمَقَامُ دَلَالَةً عَلَى تَجَدُّدٍ وَلَا عَلَى اسْتِحْضَارِ الصُّورَةِ"[47].

- **العدول في الجمع والإفراد:** يأتي العدول في الإفراد والجمع لأغراض شتى كرعاية اللفظ عند الوصف وخفته ومناسبة الصيغة للمادة وغيرها على النحو الآتي :

- **رعاية اللفظ** : في قوله تعالى : (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا (8)) **الجن** فأتى بوصف مفرد وهو (شَدِيدًا) لاسم جمع وهو (حَرَسًا)، قال ابن عاشور : " والحَرس : وَالْحَرَسُ: اسْمُ جَمْعٍ لِلْحُرَّاسِ وَلَا وَاحِدَ لَهُ مِنْ لَفْظِهِ مِثْلَ خَدَمٍ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ الْوَاحِدُ مِنْهُ بِالْحَرَسِيِّ. **وَوُصِفَ بِشَدِيدٍ وَهُوَ مُفْرَدٌ نَظَرًا إِلَى لَفْظِ حَرَسٍ** كَمَا يُقَالُ: السَّلَفُ الصَّالِحُ، وَلَوْ نُظِرَ إِلَى مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنَ الْآحَادِ لَجَازَ أَنْ يُقَالَ: شِدَادٌ. وَالطَّوَائِفُ مِنَ الْحَرَسِ أَحْرَاسٌ"[48].

- **خفة اللفظ** : في قوله تعالى : (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ(1)) **الأنعام**، قال ابن عاشور: " وَإِنَّمَا جَمَعَ الظُّلُمَاتِ وَأَفْرَدَ النُّورَ اتِّبَاعًا لِلِاسْتِعْمَالِ، **لِأَنَّ لَفْظَ (الظُّلُمَاتِ) بِالْجَمْعِ أَخَفُّ، وَلَفْظَ (النُّورِ) بِالْإِفْرَادِ أَخَفُّ**، وَلِذَلِكَ لَمْ يَرِدْ لَفْظُ (الظُّلُمَاتِ) فِي الْقُرْآنِ إِلَّا جَمْعًا، وَلَمْ يَرِدْ لَفْظُ (النُّورِ) إِلَّا

مُفْرَدًا. وَهُمَا مَعًا دَالَّانِ عَلَى الْجِنْسِ، وَالتَّعْرِيفُ الْجِنْسِيُّ يَسْتَوِي فِيهِ الْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ فَلَمْ يَبْقَ لِلاخْتِلَافِ سَبَبٌ لِاتِّبَاعِ الِاسْتِعْمَالِ، خِلَافًا لِمَا فِي «الْكَشَّافِ»"[49].

- **مناسبة الصيغة للمادة**: في قوله تعالى : (وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ(42) وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43)) **يونس**، حيث عُدِلَ عن ضمير الجمع (يَستَمِعُونَ) إلى ضمير المفرد (يَنظُرُ)، ووجّه ابن عاشور هذا العدول بأن الابتداء بمن مع ضمير الجمع بعدها أغنيا عن إعادة ضمير الجمع في الثاني، أو بالنظر للمادة اللغوية للفعلين (يستمع) و(ينظر) ومناسبة كل ضمير لهما، وإليك نص توجيهه : " وَقَدْ أَوْرَدَ الشَّيْخُ ابْنُ عَرَفَةَ سُؤَالًا عَنْ وَجْهِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ قَوْلِهِ: مَنْ يَسْتَمِعُونَ وَقَوْلِهِ: مَنْ يَنْظُرُ إِذْ جِيءَ بِضَمِيرِ الْجَمْعِ فِي الْأَوَّلِ وَبِضَمِيرِ الْمُفْرَدِ فِي الثَّانِي. وَأَجَابَ عَنْهُ بِأَنَّ الْإِسْمَاعَ يَكُونُ مِنَ الْجِهَاتِ كُلِّهَا وَأَمَّا النَّظَرُ فَإِنَّمَا يَكُونُ مِنَ الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ. وَهُوَ جَوَابٌ غَيْرُ وَاضِحٍ لِأَنَّ تَعَدُّدَ الْجِهَاتِ الصَّالِحَةِ لِأَحَدِ الْفِعْلَيْنِ لَا يُؤَثِّرُ إِذَا كَانَ الْمُسْتَمِعُونَ وَالنَّاظِرُونَ مُتَّحِدِينَ وَلِأَنَّ الْجَمْعَ وَالْإِفْرَادَ هُنَا سَوَاءٌ لِأَنَّ مُفَادَ (مَنِ) الْمَوْصُولَةِ فِيهِمَا هُوَ مَنْ يَصْدُرُ مِنْهُمُ الْفِعْلُ وَهُمْ عَدَدٌ وَلَيْسَ النَّاظِرُ شَخْصًا وَاحِدًا. وَالْوَجْهُ أَنَّ كِلَا الِاسْتِعْمَالَيْنِ سَوَاءٌ فِي مُرَاعَاةِ لَفْظِ (مَنْ) وَمَعْنَاهَا، فَلَعَلَّ الِابْتِدَاءَ بِالْجَمْعِ فِي صِلَةِ (مَنِ) الْأُولَى الْإِشَارَةُ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِـ (مَنْ) غَيْرُ وَاحِدٍ مُعَيَّنٍ **وَأَنَّ الْعُدُولَ عَنِ الْجَمْعِ فِي صِلَةِ (مَنِ) الثَّانِيَةِ هُوَ التَّفَنُّنُ وَكَرَاهِيَةُ إِعَادَةِ صِيغَةِ الْجَمْعِ لِثِقَلِهَا لَا سِيَّمَا بَعْدَ أَنْ حَصَلَ فَهْمُ الْمُرَادِ، أَوْ لَعَلَّ اخْتِلَافَ الصِّيغَتَيْنِ لِلْمُنَاسَبَةِ مَعَ مَادَّةِ فعلي (يستمع) و(ينظر)، فَفِعْلُ (يَنْظُرُ) لَا تُلَائِمُهُ صِيغَةُ الْجَمْعِ لِأَنَّ حُرُوفَهُ أَثْقَلُ مِنْ حُرُوفِ (يَسْتَمِعُ) فَيَكُونُ الْعُدُولُ اسْتِقْصَاءً لِمُقْتَضَى الفصاحة**"[50].

- **العدول من الجمع إلى الإفراد لغرض التوزيع** : قال تعالى : (وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ (9) فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَابِيَةً (10)) **الحاقة**، والعصيان هنا لرسل كثيرة لأن الذي جاء لفرعون غير الذي جاء لمن قبله، إلا أن التعبير القرآني جاء بالإفراد لـــ (رسول)، والوجه عند ابن عاشور هو التوزيع على الجماعات والغرض

هو التفنن في الأساليب والخفة وهما من مقتضيات الكلام البليغ؛ قال: "فَإِفْرَادُ (رَسُولَ) مُرَادٌ بِهِ التَّوْزِيعُ عَلَى الْجَمَاعَاتِ، أَيْ رَسُولَ اللَّهِ لِكُلِّ جَمَاعَةٍ مِنْهُمْ، وَالْقَرِينَةُ ظَاهِرَةٌ، وَهُوَ أَجْمَلُ نَظْمًا مِنْ أَنْ يُقَالَ: فَعَصَوْا رُسُلَ رَبِّهِمْ، **لِمَا فِي إِفْرَادِ رَسُولَ مِنَ التَّفَنُّنِ فِي صِيَغِ الْكَلِمِ مِنْ جَمْعٍ وَإِفْرَادٍ تفاديا من تَتَابُعِ ثَلَاثَةِ جُمُوعٍ لِأَنَّ صِيَغَ الْجَمْعِ لَا تَخْلُو مِنْ ثِقَلٍ لِقِلَّةِ اسْتِعْمَالِهَا** وَعَكْسُهُ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الْفُرْقَانِ [37] : (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْناهُمْ)، وَإِنَّمَا كَذَّبُوا رَسُولًا وَاحِدًا، وَقَوْلُهُ: (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) وَمَا بَعْدَهُ فِي سُورَةِ الشُّعَرَاءِ [105] ، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَأْوِيلُ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ "[51].

- **العدول من الإفراد إلى الجمع لدلالة اللزوم** : وعكس العدول السابق نجد في قوله تعالى: (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا (37)) **الفرقان**، عدولا عن الإفراد إلى الجمع؛ لأن قوم نوح كذّبوا رسولا واحدا هو نوح عليه السلام وجاء في الآية تكذيبهم للرسل بالجمع (وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا **الرُّسُلَ**)؛ قال ابن عاشور : "وَجُعِلَ قَوْمُ نُوحٍ مُكَذِّبِينَ الرُّسُلَ مَعَ أَنَّهُمْ كَذَّبُوا رَسُولًا وَاحِدًا لِأَنَّهُمُ اسْتَنَدُوا فِي تَكْذِيبِهِمْ رَسُولَهُمْ إِلَى إِحَالَةِ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ بَشَرًا لِأَنَّهُمْ قَالُوا: (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً مَا سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الْأَوَّلِينَ) [**الْمُؤْمِنُونَ: 24**] فَكَانَ تَكْذِيبُهُمْ مُسْتَلْزِمًا تَكْذِيبَ عُمُومِ الرُّسُلِ، وَلِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ كَذَّبَ رَسُولَهُمْ، فَكَانُوا قُدْوَةً لِلْمُكَذِّبِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ"[52].

وتكرّر هذا العدو لقوله تعالى: (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (104) كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (105) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (107) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (108)) **الشعراء**، قال ابن عاشور : "وَجُمِعَ الْمُرْسَلِينَ وَإِنَّمَا كَذَّبُوا رَسُولًا وَاحِدًا أَوَّلَ الرُّسُلِ وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ رَسُولٌ وَهُمْ أَوَّلُ الْمُكَذِّبِينَ، فَإِنَّمَا جُمِعَ لِأَنَّ تَكْذِيبَهُمْ لَمْ يَكُنْ لِأَجْلِ ذَاتِهِ وَلَكِنَّهُ كَانَ لِإِحَالَتِهِمْ أَنْ يُرْسِلَ اللَّهُ بَشَرًا، وَأَنْ تَكُونَ عِبَادَةُ أَصْنَامِهِمْ ضَلَالًا فَكَانَ تَكْذِيبُهُمْ إِيَّاهُ مُقْتَضِيًا تَكْذِيبَ كُلِّ رَسُولٍ لِأَنَّ كُلَّ رَسُولٍ يَقُولُ مِثْلَ مَا قَالَهُ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِذَلِكَ تَكَرَّرَ فِي قَوْلِهِ: (كَذَّبَتْ عادٌ الْمُرْسَلِينَ) [**الشُّعَرَاء: 123**] وَمَا بَعْدَهُ. وَقَدْ حُكِيَ

تَكْذِيبِهُمْ أَنْ يَكُونَ الرَّسُولُ بَشَرًا فِي قَوْلِهِ: (أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ) فِي الْأَعْرَافِ **[آية 63]** .

- **العدول في التذكير والتأنيث**

- **العدول عن المؤنث إلى المذكر :** مثاله قوله تعالى : (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (56)) **الأعراف**، حيث عدل عن مطابقة الوصف لموصوفه بتأنيثه في لفظ (قَرِيبٌ) فجاء مذكرا ، ووجه ابن عاشور هذا العدول بأن القرب والبعد يطلقان للتعبير عن النسب والمسافة، وفرق بين الإطلاقين عند التأنيث والتذكير فقال: " وَعَدَمُ لِحَاقِ عَلَامَةِ التَّأْنِيثِ لِوَصْفِ قَرِيبٌ مَعَ أَنَّ مَوْصُوفَهُ مُؤَنَّثُ اللَّفْظِ، وَجَّهَهُ عُلَمَاءُ الْعَرَبِيَّةِ بِوُجُوهٍ كَثِيرَةٍ، وَأَشَارَ إِلَيْهَا فِي «الْكَشَّافِ» . وَجُلُّهَا يَحُومُ حَوْلَ تَأْوِيلِ الِاسْمِ الْمُؤَنَّثِ بِمَا يُرَادِفُهُ مِنِ اسْمٍ مُذَكَّرٍ، أَوِ الِاعْتِذَارِ بِأَنَّ بَعْضَ الْمَوْصُوفِ بِهِ غَيْرُ حَقِيقِيِّ التَّأْنِيثِ كَمَا هُنَا ، وَأَحْسَنُهَا- عِنْدِي- قَوْلُ الْفَرَّاءِ وَأَبِي عُبَيْدَةَ: أَنَّ قَرِيبًا أَوْ بَعِيدًا إِذَا أُطْلِقَ عَلَى قَرَابَةِ النَّسَبِ أَوْ بُعْدِ النَّسَبِ فَهُوَ مَعَ الْمُؤَنَّثِ بِتَاءٍ وَلَا بُدَّ ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى قُرْبِ الْمَسَافَةِ أَوْ بُعْدِهَا جَازَ فِيهِ مُطَابَقَةُ مَوْصُوفِهِ وَجَازَ فِيهِ التَّذْكِيرُ عَلَى التَّأْوِيلِ بِالْمَكَانِ، وَهُوَ الْأَكْثَرُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)**[هود :83]** وَقَالَ: (وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً)**[الْأَحْزَاب: 63]** . وَلَمَّا كَانَ إِطْلَاقُهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِعَارَةِ مِنْ قُرْبِ الْمَسَافَةِ جَرَى عَلَى الشَّائِعِ فِي اسْتِعْمَالِهِ فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ، وَهَذَا مِنْ لَطِيفِ الْفُرُوقِ الْعَرَبِيَّةِ فِي اسْتِعْمَالِ الْمُشْتَرَكِ إِزَالَةً لِلْإِبْهَامِ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ"[53]. وهذا لعمري من بلاغة العدول وتصرفاته في القرآن الكريم.

وفي قوله تعالى: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا (63)) **الأحزاب**، قال: " ويُدْرِيكَ مِنْ أَدْرَاهُ، إِذَا أَعْلَمَهُ. وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ يَجْعَلُ لَكَ دِرَايَةً. وَلَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً مُسْتَأْنَفَةٌ لِإِنْشَاءِ رَجَاءٍ. وَلَعَلَّ مُعَلِّقَةٌ فِعْلَ الْإِدْرَاءِ عَنِ الْعَمَلِ، أَيْ فِي الْمَفْعُولِ الثَّانِي وَالثَّالِثِ وَأَمَّا الْمَفْعُولُ الْأَوَّلُ فَهُوَ كَافُ الْخِطَابِ. وَالْمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ يُدْرِيكَ السَّاعَةَ بَعِيدَةً أَوْ قَرِيبَةً لَعَلَّهَا تَكُونُ قَرِيبًا وَلَعَلَّهَا تَكُونُ بَعِيدًا ، فَفِي الْكَلَامِ احْتِبَاكٌ. وَالْأَظْهَرُ أَنَّ قَرِيباً خَبَرُ تَكُونُ وَأَنَّ فِعْلَ الْكَوْنِ

نَاقِصٌ وَجِيءَ بِالْخَبَرِ غَيْرَ مُقْتَرِنٍ بِعَلَامَةِ التَّأْنِيثِ مَعَ أَنه مُحْتَمل لِضَمِيرِ الْمُؤَنَّثِ لَفْظًا (فَإِنَّ اسْمَ الْفَاعِلِ كَالْفِعْلِ فِي اقْتِرَانِهِ بِعَلَامَةِ التَّأْنِيثِ إِنْ كَانَ مُتَحَمِّلًا لِضَمِيرِ مُؤَنَّثٍ لَفْظِيٍّ) فَقِيلَ: إِنَّمَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِعَلَامَةِ التَّأْنِيثِ لِأَنَّ ضَمِيرَ السَّاعَةِ جَرَى عَلَيْهَا بَعْدَ تَأْوِيلِهَا بِالشَّيْءِ أَوِ الْيَوْمِ. وَالَّذِي اخْتَارَهُ جَمْعٌ مِنَ الْمُحَقِّقِينَ مِثْلُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَالزَّجَّاجِ وَابْنِ عَطِيَّةَ أَنَّ قَرِيباً فِي مِثْلِ هَذِهِ الْآيَةِ لَيْسَ خَبَرًا عَنْ فِعْلِ الْكَوْنِ وَلَكِنَّهُ ظَرْفٌ لَهُ وَهُمْ يَعْنُونَ أَنَّ فِعْلَ الْكَوْنِ تَامٌّ وَأَنَّ قَرِيباً ظَرْفُ زَمَانٍ لِوُقُوعِهِ. وَالتَّقْدِيرُ: تَقَعُ فِي زَمَانٍ قَرِيبٍ، فَيَلْزَمُ لَفْظَ (قَرِيبٍ) الْإِفْرَادُ وَالتَّذْكِيرُ عَلَى نِيَّةِ زَمَانٍ أَوْ وَقْتٍ، وَقَدْ يَكُونُ ظَرْفَ مَكَانٍ كَمَا وَرَدَ فِي ضِدِّهِ وَهُوَ لَفْظُ (بَعِيدٌ) فِي قَوْلِهِ:

وَإِنْ تُمْسِ ابْنَةُ السَّهْمِيِّ مِنَّا ... بَعِيداً لَا تُكَلِّمُنَا كَلَامَا

وَقَدْ أَشَارَ إِلَى جَوَازِ الْوَجْهَيْنِ فِي «الْكَشَّافِ» . وَهَذَانِ الْوَجْهَانِ وَإِنْ تَأَتَّيَا هُنَا لَا يَتَأَتَّيَانِ فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) **[الْأَعْرَاف: 56]**. وَيَقْتَرِنُ (قَرِيبٌ) وَ(بَعِيدٌ) بِعَلَامَةِ التَّأْنِيثِ وَنَحْوِهَا مِنَ الْعَلَامَاتِ الْفَرْعِيَّةِ عِنْدَ إِرَادَةِ التَّوْصِيفِ. وَكُلُّ هَذِهِ اعْتِبَارَاتٌ مِنْ تَوَسُّعِهِمْ فِي الْكَلَامِ. وَتَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى:(إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) فِي الْأَعْرَافِ فَضُمَّهُ إِلَى مَا هُنَا"[54].

وفي قوله تعالى: (إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ (4)) **الشعراء**، عدل عن التأنيث الذي يقتضيه غير العاقل في لفظ (خاضعين) فجاء بصيغة الجمع العاقل بدل لفظ المؤنث المفرد (خاضعة)؛ قال ابن عاشور: "وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ فَظَلَّوْا لَهَا خَاضِعِينَ بِأَعْنَاقِهِمْ. **وَفِي إِجْرَاءِ ضَمِيرِ الْعُقَلَاءِ فِي قَوْلِهِ: خَاضِعِينَ عَلَى الْأَعْنَاقِ تَجْرِيدٌ لِلْمَجَازِ الْعَقْلِيِّ فِي إِسْنَادِ خَاضِعِينَ إِلَى (أَعْنَاقُهُمْ)؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى الْجَرْيِ عَلَى وَتِيرَةِ الْمَجَازِ أَنْ يُقَالَ لَهَا: خَاضِعَةً، وَذَلِكَ خُضُوعٌ مِنْ تَوَقُّعِ لَحَاقِ الْعَذَابِ النَّازِلِ**. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: أَنَّ الْأَعْنَاقَ هُنَا جَمْعُ عُنُقٍ بِضَمَّتَيْنِ يُطْلَقُ عَلَى سَيِّدِ الْقَوْمِ وَرَئِيسِهِمْ كَمَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ رَأْسُ الْقَوْمِ وَصَدْرُ الْقَوْمِ، أَيْ فَظَلَّتْ سَادَتُهُمْ، يَعْنِي الَّذِينَ أَغْرَوْهُمْ بِالْكُفْرِ خَاضِعِينَ، فَيَكُونُ الْكَلَامُ تَهْدِيداً لِزُعَمَائِهِمُ الَّذِينَ زَيَّنُوا لَهُمُ الِاسْتِمْرَارَ عَلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ تَفْسِيرٌ ضَعِيفٌ. وَعَنِ ابْنِ زَيْدٍ وَالْأَخْفَشِ: الْأَعْنَاقُ الْجَمَاعَاتُ وَاحِدُهَا عُنُقٌ بِضَمَّتَيْنِ جَمَاعَةُ النَّاسِ، أَيْ فَظَلُّوا خَاضِعِينَ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ، وَهَذَا أَضْعَفُ مِنْ سَابِقِهِ"[55].

•**العدول عن المذكر إلى المؤنث** : في قوله تعالى :(يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (45) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (46))**الصافات** ، قال ابن عاشور: "وبَيْضاءَ صِفَةُ لِ «كَأْسٍ» . وَإِذْ قَدْ أُرِيدَ بِالْكَأْسِ الْخَمْرُ الَّذِي فِيهَا كَانَ وَصْفُ بَيْضاءَ لِلْخَمْرِ. **وَإِنَّمَا جَرَى تَأْنِيثُ الْوَصْفِ تَبَعًا لِلتَّعْبِيرِ عَنِ الْخَمْرِ بِكَلِمَةِ كَأْسٍ، عَلَى أَنَّ اسْمَ الْخَمْرِ يُذَكَّرُ وَيُؤَنَّثُ وَتَأْنِيثُهَا أَكْثَرُ**. رَوَى مَالِكٌ عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: لَوْنُهَا مُشْرِقٌ حَسَنٌ فَهِيَ لَا كَخَمْرِ الدُّنْيَا فِي مَنْظَرِهَا الرَّدِيءِ مِنْ حُمْرَةٍ أَوْ سَوَادٍ"[56] .

ثانيا : العدول في الأفعال

- **العدول من الفعل إلى الاسم** : قال تعالى :(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (95)) **الأنعام**، قال ابن عاشور : " وَقَدْ جِيءَ بِجُمْلَةِ: يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ فِعْلِيَّةً لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ يَتَجَدَّدُ وَيَتَكَرَّرُ فِي كُلِّ آنٍ، فَهُوَ مُرَادٌ مَعْلُومٌ وَلَيْسَ عَلَى سَبِيلِ الْمُصَادَفَةِ وَالِاتِّفَاقِ. وَجِيءَ فِي قَوْلِهِ: (وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ) **اسْمًا لِلدَّلَالَةِ عَلَى الدَّوَامِ وَالثَّبَاتِ، فَحَصَلَ بِمَجْمُوعِ ذَلِكَ أَنَّ كِلَا الْفِعْلَيْنِ مُتَجَدِّدٌ وَثَابِتٌ، أَيْ كَثِيرٌ وَذَاتِيٌّ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَحَدَ الْإِخْرَاجَيْنِ لَيْسَ أَوْلَى بِالْحُكْمِ مِنْ قَرِينِهِ** فَكَانَ فِي الْأُسْلُوبِ شِبْهُ الِاحْتِبَاكِ"[57] .

والاحتباك هو : "أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابلة في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابلة في الأوائل. ومأخذ هذه التسمية من الحَبْك، وهو الشدّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فَحَبْكُ الثوب هو سَدُّ ما بين خيوطه من الفُرَج وشَدُّهُ وإحكامه إحكاماً يمنع عنه الخَلَل، مع الحُسْنِ والرونق"[58] . فجمع بين التجدد والثبات في الآية العدولُ عن الفعلية إلى الإسمية.

ومثال الاحتباك قوله تعالى : (قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ **(13)) آل عمران** .

فهناك حَذْف مِنَ الأَوَائل دل عليه ما في الأواخر؛ وهو لفظ مؤمنة الذي دل عليه لفظ كافرة، وحذْف من الأواخِرِ هو لفظ فئة لِدَلَالَةِ مَا فِي الأوائل، " وهذا من بدائع القرآن وإيجازه الرائع. إنّ إبراز المحاذيف يتطلّب منا أن نقول:(قَدْ

كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ) **مُؤْمِنَةٌ** (تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) وَ(**فئة** وَأُخْرَى كَافِرَةٌ) تُقَاتِلُ فِي سبيل الطّاغوت (يَرَوْنَهُمْ...) إلى آخره"[59].

- **العدول من الصفة المشبهة إلى الفعل** : في قوله تعالى :(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَآتُوهُمْ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ وَاسْأَلُوا مَا أَنْفَقْتُمْ وَلْيَسْأَلُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (10)) **الممتحنة**، قال ابن عاشور :"**وَجِيءَ فِي الْجُمْلَةِ الْأُولَى بِالصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ وَهِيَ حِلٌّ الْمُفِيدَةُ لِثُبُوتِ الْوَصْفِ** إِذْ كَانَ الرِّجَالُ الْكَافِرُونَ يَظُنُّونَ أَنَّ الْعِصْمَةَ الَّتِي لَهُمْ عَلَى أَزْوَاجِهِمُ الْمُؤْمِنَات مثبتة أنهم حِلٌّ لَهُمْ. **وَعُبِّرَ عَنِ الثَّانِيَةِ بِجُمْلَةِ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ فَعُكِسَ الْإِخْبَارُ بِالْحِلِّ إِذْ جُعِلَ خَبَرًا عَنْ ضَمِيرِ الرِّجَالِ**، وَعُدِّيَ الْفِعْلُ إِلَى الْمُحَلَّلِ بِاللَّامِ دَاخِلَةٍ عَلَى ضَمِيرِ النِّسَاء فَأَفَاد أَنهم لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ الْكَافِرُونَ وَلَوْ بَقِيَ الزَّوْجُ فِي بِلَادِ الْإِسْلَامِ. وَلِهَذَا ذُكِرَتِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ كَالتَّتِمَّةِ لِحُكْمِ الْجُمْلَةِ الْأُولَى، **وَجِيءَ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ بِالْمُسْنَدِ فِعْلًا مُضَارِعًا لِدِلَالَتِهِ عَلَى التَّجَدُّدِ لِإِفَادَةِ نَفْيِ الطَّمَاعِيَةِ فِي التَّحْلِيلِ وَلَوْ بِتَجَدُّدِهِ فِي الْحَالِ بِعَقْدٍ جَدِيدٍ أَوِ اتِّفَاقٍ جَدِيدٍ عَلَى الْبَقَاءِ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ** خِلَافًا لِأَبِي حَنِيفَةَ إِذْ قَالَ: إِنَّ مُوجِبَ الْفُرْقَةِ هُوَ اخْتِلَافُ الدَّارَيْنِ لَا اخْتِلَافُ الدِّينِ"[60].

- **العدول من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول** : نحو قوله تعالى : (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ **كَذَّبَتْ** قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ **وَكُذِّبَ** مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ (44)) **الحج** ، فعدل عن المبني للمعلوم (**كَذَّبَتْ**) مع قوم نوح وعاد وثمود وإبراهيم ولوط، إلى المبني للمجهول (**كُذِّبَ**) مع قصة موسى عليه السلام ؛ قال ابن عاشور : "(وَكُذِّبَ مُوسَى)؛ لأن مُكذّبيه هم القبط قوم فرعون ولم يكذبه قومه بنو إسرائيل"[61].

- **العدول من المبني للمجهول إلى المبني للمعلوم** : وعكس السابق في قوله تعالى : (رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ (87)) **التوبة**، وقوله بعدها:(إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا

بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (93)) **التوبة**. قال ابن عاشور : " **وَأُسْنِدَ الطَّبْعُ إِلَى الْمَجْهُولِ** إِمَّا لِلْعِلْمِ بِفَاعِلِهِ وَهُوَ اللَّهُ، وَإِمَّا لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُمْ خُلِقُوا كَذَلِكَ وَجُبِلُوا عَلَيْهِ وَفُرِّعَ عَلَى الطَّبْعِ انْعِدَامُ عِلْمِهِمْ بِالْأُمُورِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِعِلْمِهَا أَهْلُ الْأَفْهَامِ، وَهُوَ الْعِلْمُ الْمُعْتَبَرُ عَنْهُ بِالْفِقْهِ، أَيْ إِدْرَاكِ الْأَشْيَاءِ الْخَفِيَّةِ، أَيْ فَآثَرُوا نِعْمَةَ الدَّعَةِ عَلَى سُمْعَةِ الشَّجَاعَةِ وَعَلَى ثَوَابِ الْجِهَادِ إِذْ لَمْ يُدْرِكُوا إِلَّا الْمَحْسُوسَاتِ فَلِذَلِكَ لَمْ يَكُونُوا فَاقِهِينَ وَذَلِكَ أَصْلُ جَمِيعِ الْمَضَارِّ فِي الدَّارَيْنِ "[62].

وقال عن سبب إسناد الموضع الثاني إلى الله جل جلاله : " **وَأُسْنِدَ الطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ إِلَى اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ بِخِلَافِ مَا فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ (وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ) [التَّوْبَة: 87] لَعَلَّهُ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّهُ طَبْعٌ غَيْرُ الطَّبْعِ الَّذِي جُبِلُوا عَلَيْهِ بَلْ هُوَ طَبْعٌ عَلَى طَبْعٍ أَنْشَأَهُ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمْ لِغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ فَحَرَمَهُمُ النَّجَاةَ مِنَ الطَّبْعِ الْأَصْلِيِّ وَزَادَهُمْ عَمَايَةً**، وَلِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى فُرِّعَ عَلَيْهِ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ لِنَفْيِ أَصْلِ الْعِلْمِ عَنْهُمْ، أَيْ يَكَادُونَ أَنْ يساووا العجماوات "[63].

- **العدول في الإسناد إلى الفعل** : في قوله تعالى : (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (78) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (79)وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (81) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (82) رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (83)) **الشعراء**، فلم يجري الكلام عن المرض كما جرى الكلام عن الخلق والإطعام والإماتة، فقال (وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ) ولم يقل: وَإِذَا أمرضني فَهُوَ يَشْفِينِ؛ ووجه ابن عاشور هذا العدول بالأدب مع الله تعالى فقال : "**وفي إسناده فعل المرض إلى نفسه تأدب مع الله راعى فيه الإسناد إلى الأسباب الظاهرة في مقام الأدب ، فأسند إحداث المرض إلى ذاته ولأنه المتسبب فيه** "[64].

ومنه أيضا قوله تعالى :(أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (79) وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (80) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (81)) **الكهف**، حيث عدل القرآن عن إسناد الفعل للمتكلم في قوله (فَأَرَدْتُ)إلى إسناده لضمير الجماعة في قوله: (فَخَشِينَا)، وقوله : (فَأَرَدْنَا)، قال ابن عاشور: " وَضَمِيرَا الْجَمَاعَةِ فِي قَوْلِهِ فَخَشِينا وَقَوْلِهِ فَأَرَدْنا عَائِدَانِ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ الْوَاحِدِ بِإِظْهَارِ أَنَّهُ

مُشَارِكٌ لِغَيْرِهِ فِي الْفِعْلِ. وَهَذَا الِاسْتِعْمَالُ يَكُونُ مِنَ التَّوَاضُعِ لَا مِنَ التَّعَاظُمِ لِأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ الْإِعْلَامِ بِأَنَّ اللَّهَ أَطْلَعَهُ عَلَى ذَلِكَ وَأَمَرَهُ فَنَاسَبَهُ التَّوَاضُعُ فَقَالَ: فَخَشِينا فَأَرَدْنا، وَلَمْ يقل مثله عِنْد مَا قَالَ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَها لِأَنَّ سَبَبَ الْإِعَابَةِ إِدْرَاكُهُ لِمَنْ لَهُ عِلْمٌ بِحَالِ تِلْكَ الْأَصْقَاعِ"[65].

- **العدول في أبنية الفعل** : نحو قوله تعالى :(فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (97)) **الكهف**، عبر ابن عاشور عن العدول في بنية الفعل من (اسْطَاعُوا) إلى (اسْتَطَاعُوا) في هذا الموضع بمخالفة الظاهر، وهذا التعبير يصلح أن يكون تعريفا اصطلاحيا للعدول كما يؤيد ما قلناه سابقا بأن العدول ليس مخالفة القاعدة بل مخالفة توقع المتلقي أو الظاهر، قال ابن عاشور : " واسْطاعُوا تَخْفِيفُ اسْتَطاعُوا، وَالْجمع بينهما تَفَنُّنٌ فِي فَصَاحَةِ الْكَلَامِ كَرَاهِيَةَ إِعَادَةِ الْكَلِمَةِ. وَابْتُدِئَ بِالْأَخَفِّ مِنْهُمَا لِأَنَّهُ وَلِيَهُ الْهَمْزُ وَهُوَ حَرْفٌ ثَقِيلٌ لِكَوْنِهِ مِنَ الْحَلْقِ، بِخِلَافِ الثَّانِي إِذْ وَلِيَهُ اللَّامُ وَهُوَ خَفِيفٌ. وَمُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُبْتَدَأَ بِفِعْلِ اسْتَطاعُوا وَيُثَنَّى بِفِعْلِ اسْطاعُوا لِأَنَّهُ يَثْقُلُ بِالتَّكْرِيرِ، كَمَا وَقَعَ فِي قَوْلِهِ آنِفًا (سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) [الْكَهْف: 78] ثُمَّ قَوْله:(ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً) [الْكَهْف: 82] **وَمِنْ خَصَائِصِ مُخَالَفَةِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ هُنَا إِيثَارُ فِعْلِ ذِي زِيَادَةٍ فِي الْمَبْنَى بِمَوْقِعٍ فِيهِ زِيَادَةُ الْمَعْنَى لِأَنَّ اسْتِطَاعَةَ نَقْبِ السَّدِّ أَقْوَى مِنِ اسْتِطَاعَةِ تَسَلُّقِهِ، فَهَذَا مِنْ مَوَاضِعِ دَلَالَةِ زِيَادَةِ الْمَبْنَى عَلَى زِيَادَةٍ فِي الْمَعْنَى**"[66].

- **العدول من فَعَلَ إلى أَفْعَلَ** : مثاله قوله تعالى :(إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (15) وَأَكِيدُ كَيْدًا (16) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (17))**الطارق** ، قال ابن عاشور : "والتهميل: مَصْدَرُ مَهَّلَ بِمَعْنَى أَمْهَلَ، وَهُوَ الْإِنْظَارُ إِلَى وَقْتٍ مُعَيَّنٍ أَوْ غَيْرِ مُعَيَّنٍ، فَالْجَمْعُ بَيْنَ «مَهِّلْ» وَأَمْهِلْهُمْ تَكْرِيرٌ لِلتَّأْكِيدِ لِقَصْدِ زِيَادَةِ التَّسْكِينِ، وَخُولِفَ بَيْنَ الْفِعْلَيْنِ فِي التَّعْدِيَةِ مَرَّةً بِالتَّضْعِيفِ وَأُخْرَى بِالْهَمْزِ لِتَحْسِينِ التَّكْرِيرِ"[67].

الخاتمة

في ختام هذا المقال يمكننا تسجيل النقاط الآتية:

- مصطلح العدول أقرب المصطلحات لمعنى الانزياح، وأنسب لفظ نترجم به مصطلح : (**L'écart**)
- مفهوم الانزياح في الدراسات الأسلوبية الحديثة عبّر عنه بمصطلحات كثيرة منها : التجاوز، الفضيحة، الانتهاك، الكسر، الانحراف ...

- الانزياح هو كسر شبكة العلاقات التي يقيمها الاستعمال المنطقي أو القاعدي أو المعتاد بين الكلمات والانحراف بها عن المتوقّع من المتلقّي.
- معنى العدول يتعدى الخروج عن الأصل ومخالفة القاعدة إلى مخالفة توقّع المتلقي، لأن مخالفة التوقّع مضمنّة لمخالفة القاعدة من جهة، وتزيد عنها بإمكانية حدوث هزّة أسلوبية مفاجئة للمتلقي وحاوية لمعنى جديد.
- السياق هو الأداة الفعالة الدالة على الانحراف بالمعنى.
- العدول الصرفي هو ترك الصيغة المتوقعة إلى صيغة أخرى غير متوقعة فتحدث مفاجأة أسلوبية ينجرّ عنها زيادة معنى لم يكن في الصيغة الأولى.
- من العدول في التحرير والتنوير ما يكون لمراعاة التماثل في فواصل السور. ومنه ما يعدل إليه للتّخفيف.
- من بلاغة العدول في القرآن الكريم العدول عن المصدر الصريح إلى المصدر المؤول لأنّ المصدر المؤول أعرف من المصدر الصريح.
- العدول عن المصدر إلى الاسم يكون لقصد المبالغة.
- إيثار صِيغَةِ الْمُضَارِعِ دُونَ صِيغَةِ اسْمِ الْفَاعِلِ لِمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ الْمُضَارِعُ مِنِ اسْتِمْرَارِ الْفِعْلِ وَقْتًا فَوَقْتًا اسْتِحْضَارًا لِذَلِكَ الِاسْتِمْرَارِ فِي طوله وتمكّنه.
- العدول إلى صيغة الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ يفيد ثبوت الوصف.
- لفظ (قريب) ولفظ (بعيد) إِذَا أُطْلِقَا عَلَى قَرَابَةِ النَّسَبِ أَوْ بُعْدِ النَّسَبِ فَهُوَ مَعَ الْمُؤَنَّثِ بِتَاءٍ وَلَا بُدَّ، وَإِذَا أُطْلِقَ عَلَى قُرْبِ الْمَسَافَةِ أَوْ بُعْدِهَا جَازَ فِيهِ مُطَابَقَةُ مَوْصُوفِهِ تذكيرا وتأنيثا ، وَجَازَ فِيهِ التَّذْكِيرُ عَلَى التَّأْوِيلِ بِالْمَكَانِ وَهُوَ الْأَكْثَرُ.
- من خَصَائِصِ مُخَالَفَةِ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ في بعض مواضع القرآن إِيثَارُ فِعْلِ ذِي زِيَادَةٍ فِي الْمَبْنَى بِمَوْقِعٍ فِيهِ زِيَادَةُ الْمَعْنَى.

الهوامش

1 - ينظر :ابن عاشور محمد الطاهر ، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر ، تونس، 1984 هـ ، ج 1 ص 39.

2- نفسه، ج 1 ص 45.بتصرف يسير.

3- تمـام حسـان ، مناهج البحـــث في اللـغة ، مكـتبة الأنجـلو المصرية، القاهرة ، 1955م ، ص 176 .

4- السيوطي جلال الدين ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقق: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1418هـ 1998م ، ج 1 ص 260 .

5- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، 1399هـــ - 1979م. ج 4 ص 46، 247 .

6- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، ج 11 ص 430. مادة (عدل).

7- ابن جني، اللمع في العربية، تحقيق حامد المؤمن، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، بيروت، 1405هـ - 1985م ، ص 217 .

8- المبرد أبو يزيد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي – القاهرة ، ط 3، 1417 هـ - 1997 م ، ج 3 ص 17.

9- ابن جنى، الخصـائص، تحـقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د ت ط)، ج 2 ص 360 .

10- عبد القاهر الجرجاني، المحقق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة ، ط 3 ، 1413هـ - 1992م ، ص 429 .

11- ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، 1995، ج 2 ص 12 .

12- العلوي يحي بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2 ص .132

13- وهذا الفرق فيه ردّ على من زعم أن مصطلحات الصرف والتلون والانصراف والانتقال والعدول عند البلاغيين ليست سوى نعوت لمصطلح الالتفات، بل هي مع الالتفات نعوت لمصطلح العدول. ينظر: مازن موفق صديق الخيرو، الإعجاز البلاغي في الخطاب القرآني الالتفات نموذجا، ص 23 .

14- المسدي، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط 2، 1982م، ص 106 .

15- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم الفكر الصادرة عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، رقم 164، أغسطس، 1992م ،ص 57 .

16- ويس أحمد محمد، الإنزياح في منظور الدراسات الأسلوبية، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض ، ط 1، 2003م ، ص 08.

17 - المسدّي، الأسلوب والأسلوبية، ص 102 ، 103 .

18- منذر عياش، الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سورية، ط 1، 2002 ، ص 75 .

19- صلاح ملّا عزيز، جماليات الإشارة النفسيّة في الخطاب القرآني، دار الزمان، سورية، ط 1، 2010م، ص 202 .

20- تمام حسان، البيان في روائع القرآن دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، القاهرة، عالم الكتب، ط 3، 2009م، ج 2 ص 77 .

21- عبد الحميد أحمد هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم دراسة نظرية تطبيقية، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط 1، 2008م ، ص 151 .

22- عبد القاهر الجرجاني ، المفتاح في الصرف، تحقيق علي توفيق الحَمَد، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، (1407 هـ - 1987م) ، ج 1 ص 26.

23 - ماجدة صلاح حسن، العدول الصرفي في القرآن الكريم، مقال بالمجلة الجامعة، العدد 11، سنة 2009م، ص 22 .

24- أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر، ص 196 .

25- الباقلاني، إعجاز القرآن، المحقق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، ط 5، 1997م، ص 273 .

26 - الرماني، النكت في إعجاز القرآن (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ص 104 .

27- ابن الأثير، المثل السائر، ج 2 ص 12 .

28 - مشرف بن أحمد الزهراني ، أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور، بيروت، لبنان، مؤسسة الريان، ط1، 1430 هـ 2009م ، ص 462 .

29 - البيت من شواهد اللسان قال ابن منظور: " أنشدني بعضُ بَني كُلَيْب ". ينظر اللسان ج 1 ص 706 .

30 - التحرير والتنوير، ج 30 ص .40

31- التحرير والتنوير، ج 29 ص 266 .

32- نفسه .

33- التحرير والتنوير، ج 29 ص 240 .

34- التحرير والتنوير، ج 3 ص .235

35- التحرير والتنوير، ج 18 ص 275 .
36- التحرير والتنوير، ج ص 120 .
37- التحرير والتنوير، ج 23 ص 113 .
38- التحرير والتنوير، ج 8 ص 192.
39- التحرير والتنوير، ج 9 ص 45 .
40- التحرير والتنوير، ج 19 ص 124 ، 125.
41- التحرير والتنوير، ج 7 ص 134 .
42- التحرير والتنوير، ج 30 ص 582 .
43- التحرير والتنوير، ج 14 ص 155 .
44- التحرير والتنوير، ج 16 ص 109 .
45- التحرير والتنوير، ج 22 ص 86 .
46- التحرير والتنوير، ج 29 ص 39 .
47- التحرير والتنوير، ج 23 ص 228 .
48- التحرير والتنوير، ج 29 ص 227 .
49- التحرير والتنوير، ج 7 ص 128 .
50- التحرير والتنوير، ج 11 ص 179 ، 180 .
51- التحرير والتنوير، ج 29 ص 122 .
52- التحرير والتنوير، ج 19 ص 27 .
53- التحرير والتنوير، ج 8 ص 177 .
54-التحرير والتنوير، ج 22 ص 114 .
55- التحرير والتنوير، ج 19 ص 97 . وفي قوله تعالى :(السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا(18)) **المزمل** ، قال : " ولعل العدول في الآية عن الاستعمال الشائع في الكلام الفصيح في إجراء السماء على التأنيث، إلى التذكير إيثاراً لتخفيف الوصف لأنه لما جيء به بصيغة منفعل بحرفي زيادة وهما الميم والنون كانت الكلمة معرضة للثقل إذا ألحق بها حرف زائد آخر ثالث، وهو هاء التأنيث فيحصل فيها ثقل يجنّبه الكلام البالغ غاية الفصاحة ألا ترى أنها لم تجر على التذكير في قوله : (إذا السماء انفطرت) (**الانفطار : 1**) إذ ليس في الفعل إلاّ حرف مزيد واحد وهو النون إذ لا اعتداد بهمزة الوصل لأنها ساقطة في حالة الوصل، فجاءت بعدها تاء التأنيث " ينظر ج 29 ص 277 .
56- التحرير والتنوير، ج 13 ص 113 .
57- التحرير والتنوير، ج 7 ص 389 .

58- الميداني حبنكة، البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط 1، 1416 هـ - 1996 م، ج 1 ص 507 .

59- نفسه، ج 1 ص 507 .

60- التحرير والتنوير، ج 28 ص 158 .

61- التحرير والتنوير، ج 17 ص 283 .

62- التحرير والتنوير، ج 10 ص 290 .

63- التحرير والتنوير، ج 11 ص 6 .

64- التحرير والتنوير، ج 19 ص 143. وفي العدول عن الحصر بهو في قوله تعالى :(وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ)، قال ابن عاشور : " فأما قوله : (والذي يميتني ثم يحيين) فلم يأت فيه بما يقتضي الحصر لأنهم لم يكونوا يزعمون أن الأصنام تميت بل عمل الأصنام قاصر على الإعانة أو الإعاقة في أعمال الناس في حياتهم . فأما الموت فهو من فعل الدهر والطبيعة إن كانوا دهريين وإن كانوا يعلمون أن الخلق والإحياء والإماتة ليست من شؤون الأصنام وأنها من فعل الله تعالى كما يعتقد المشركون من العرب فظاهر " نفس الصفحة وذات الجزء .

65- التحرير والتنوير، ج 16 ص 13 .

66- التحرير والتنوير، ج 16 ص 38 .

67-التحرير والتنوير، ج 30 ص 286.